مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي
ISSN 1112-9255
المجلد5،العدد2 – ديسمبر 2018

OEB Univ. Publish. Co.

الاختيارات الشعرية حتى نهاية العصر العباسي: أسبابها وخلفياتها.

The poetic choices until the end of the abbasid period: their causes and backgrounds.

أ. سعيد صيد*، جامعة أم البواقي، الجزائر.
saidsid2018@gmail.com

تاريخ التسليم:(2018/07/31)، تاريخ التقييم:(2018/11/12)،تاريخ القبول:(2018/11/15)

ملخص :

تحاول هذه المقالة البحث في موضوع الاختيارات الشعرية حتى نهاية العصر العباسي، من حيث ماهيتها، أنواعها ومصنفوها، ثم مرجعياتها وخلفياتها التاريخية التي استدعت تصنيفها.

الكلمات المفتاحية: الشعر،الاختيارات الشعرية، العصر العباسي، الأسباب، الخلفيات، الأنواع.

Abstract :

This article attempts to examine the subject of poetic choices, to find out its definitions, its genres and its categories, then its reference and historical background that called for classification until the end of the Abbasid period.

Key words: poetry، poetic choices, Abbasid period, reasons, backgrounds, genres.

* المؤلف المراسل: أ. سعيد صيد، الإيميل: saidsid2018@gmail.com

مقدمة:

للشعر أهميّة كبيرة في حياة العربي، لما يحمله من همومه وتطلعاته ، من آلامه وآماله وأحلامه وطموحاته، فهو ديوانه وسجله الحافلٌ بمختلف مناحي حياته، الاجتماعية والسياسية والفكرية والدينية والاقتصادية، وحتى النفسية منها، وقد فرضت كثرته وتراكمه على مرّ الأزمنة والعصور ضرورة اصطفاء الأجود منه لاعتبارات عديدة، خاصّة وأنّ في الشعر الجيّد والحسن، والرديء والفاسد، وهو الأمر الذي فتح المجال أمام الرواة واللغويين والنقاد لتصنيف كتب المختارات الشعرية لأسباب وغايات مختلفة، هذه الكتب التي حملت رؤية هؤلاء المصنفين للشعر، ونظرتهم إلى ما يجب أنْ يتمثله ويعكسه، وما يفترض أنْ يبنى عليه من قيم فنية وجمالية ولغوية مختلفة، كما حملت نظرتهم إلى الحياة وإلى الواقع العربيّ عبر مختلف العصور التي صنفت فيها، ومن هذا المنطلق فإنّ لهذه المنتخبات الشعرية أهميّة كبيرة في حياة المتعلمين، خاصّة وأنّها خلاصة ما وصلت إليه ذائقة مصنفيها، لذلك سنحاول في هذه المقالة البحث في ماهية الاختيار الشعري، وفي مضمونه، ومن ثم في أنواع الاختيارات الشعرية، والعوامل التي ساعدت على ظهورها وتطورها حتى نهاية العصر العباسي، مع إبراز أهميتها وقيمتها النقدية.

2. مفهوم الاختيار الشعري:

1.2. لغة:

الاختيار لغة من: " خارَ، يَخير: صار ذا خير، والرجلَ على غيره خِيرةً وخيَرًا وخِيَرَةً: فضَّلهُ، كخيّرهُ، والشيءَ: انتقاهُ، كتخيّرهُ، واخترته الرجالَ، واخترته منهم وعليهم"(الفيروزبادي، 2010، ص.351)، و"خيَّر بين الأشياء: فضّل بعضها على بعض، والشيء على غيره: فضله عليه. وفلانا: فوض إليه الاختيار. واختارهُ: انتقاهُ واصطفاهُ،....، والمختار: المنتقى"(مصطفى وآخرون، د.ت، 264/1)، وفي اللسان: " الاختيار الاصطفاء وكذلك التخيّر" (ابن منظور، د.ت، 246/4).

ومنه جاءت كتب الاختيارات أو المختارات الشعرية.

2.2 . اصطلاحا:

لم ترد كلمة الاختيار في الأدب مصطلحا متعارفا عليه عند النقاد والأدباء قديما،إلا في عبارات قليلة تضمنتها كتب الاختيار، وأهمّها ما جاء على لسان المرزوقي في مقدمته لشرح حماسة أبي تمام، إذ يقول: "...وكدّي على عمل شرح للاختيار المنسوب إلى أبي تمام"(المرزوقي، 1991، ص.3)، أمّا حديثا فجاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، أنّ المختارت هي: " مجموعة من القطع المختارة نثرية أو شعرية أو هما معا لمؤلف واحد أو أكثر يكون الغرض منها عادة تعريف القارىء بخير ما كتب مؤلف أو أكثر، أو ما أنتجه عصر من عصور الأدب "(وهبه، والمهندس،1984، ص.342)، أمّا في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، فالمختارات أو المنتخبات الأدبية عموما: هي قطع مختارة،

من كتاب أو عدة كتب، تبرز نضج فترة أدبية، وممارسة أسلوبية خاصة، كما أنها قراءة تأويلية، تعتمد فرز الأعمال وترتيبها (علوش،2004، ص.228).

فالمختارات الشعرية إذن: هي مجموعة من المصنفات الشعرية التي انتخبها أصحابها من عيون الشعر العربيّ قديما وحديثا ، ورأوا أنّها الأحقّ والأجود في التمثيل لذا اختاروها، ومن أهم كتب الاختيارات الشعرية: المفضليات، الأصمعيات، جمهرة أشعار العرب، الحماسة، منتهى الطلب من أشعار العرب، مختارات البارودي، مختارات أدونيس ... وغيرها.

3. الاختيارات الشعرية، أسبابها وخلفياتها، وقيمتها النقدية:

لابد وأنّ كتب الاختيارات الشعرية كثيرة ومتنوعة في المضمون والمنهج، مما جعلها تختلف في الأسباب والخلفيات التي صنفت على أساسها، كما أنّ لها قيمة نقدية متميزة، وهذا ما سنقف عنده في العناصر التالية:

1.3. كتب الاختيارات الشعرية، وأنواعها:

يعود الفضل إلى علماء البصرة والكوفة –في العصر العباسي– في جمع النصوص الشعرية والأخبار التاريخية، على نحو منهجي(مكي، 1999، ص.91)، وإن كانت المحاولات الأولى في جمع الشعر تعود إلى زمن أسبق؛ إذ يرى ناصر الدين الأسد أن الشعر الجاهلي أو بعضه على الأقل، قد كتب في صحائف متفرقة أو في دواوين مجموعة، منذ العصر الجاهلي، وفي ذلك يقول: "رجحنا أنّ هذا الشعر الجاهلي –أو بعضه– قد كتب، في صحائف متفرقة أو في دواوين مجموعة، منذ عهد مبكر جدا، وربما كتب بعضه منذ العصر الجاهلي "(الأسد، 1978، ص.482).

وهذا الجمع أخذ أشكالا مختلفة ومتنوعة؛ فقد يكون: " شعر قبيلة بأكملها، أو شاعر بعينه، أو لطبقة معينة من الشعراء، حسب مكانتهم الفنية، أو الاجتماعية، أو في شكل مختارات ترضي أذواق الذين تتوجه إليهم، وتعكس بالتالي ذوق المختار وميله الأدبي "(مكي، 1999، ص.91).

وكانت دواوين القبائل أول ما استوقف الباحثين والدارسين لتراثنا العربي القديم، وذلك لما تزخر به كتب القرن الرابع الهجري، وخاصة كتابي الفهرست لابن النديم (ت385هـ)، والمؤتلف والمختلف للآمدي (ت370هـ)، من أسماء لكتب القبائل، ودواوين لشعرها؛ إذ ذكر ابن النديم في الفهرست مثلا ثمانية وعشرين ديوانا من دواوين القبائل، في حين ذكر الآمدي في المؤتلف والمختلف ستين ديوانا منها(الأسد، 1978، ص.543–545).

وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدل على كثرة عدد دواوين القبائل، وما حوته من مجموع شعري ضخم ضاع أغلبه، ولم يصلنا منه إلا النزر اليسير، وهو ما انعكس سلبا على تحقيق دواوين الشعراء ناهيك عن دواوين القبائل في حد ذاتها.

أماّ كتب المختارات الشعرية فتعدّ أبرز وأوثق مصادر الشعر الجاهلي، والعربي عامة، والتي تختلف عن دواوين الشعراء أو القبائل من حيث المنهج والغاية، إذ " يصدر فيها جامعها عن مبدأ أساسي هو أنْ تكون قصائدها –من وجهة نظره على أقل تقدير– طرازا عاليا من الشّعر، أو مصوّرة للمثل الأعلى الشعري في بابها"(إسماعيل، د.ت، ص.65).

فالمختارات الشعرية إذا تمثل نظرة مصنفيها إلى الشعر، وما يجب أن يقوم عليه ويتمثله من أسس جمالية وفنية ولغوية، حتى يكون صالحا للاختيار والاصطفاء.

وتختلف هذه المجموعات الشعرية بعضها عن بعض في كثير من جوانبها، فبعضها "يرمي إلى إثبات عدد كثير أو قليل من القصائد المطولة الشهيرة بتمامها، وبعضها الآخر يكتفي بالأبيات الجميلة ينتقيها من كل قصيدة. ومن هذه المجموعات ما هو مبوّب على المعاني الشعرية المعروفة، ومنها ما يجمع المختارات جنبا إلى جنب مهما اختلفت موضوعاتها. ومن هذه المجموعات أخيرا ما لا يضم بين دفتيه إلا الشّعر الجاهلي فلا يتعداه، ولو إلى شعر صدر الإسلام، إلا نادرًا، ومنها ما ينتقي الشعر الجيد من الجاهلية وصدر الإسلام على حدّ سواء" (الطرابلسي، 1956، 91/1).

وتعود جذور الاختيار الشعري عند العرب إلى ما كان يروى عنهم قديما من تنازع على أفخر بيت عند العرب، وأهجاه وأغزله، ومن مجادلتهم في أشعر الشعراء وأجودهم قولا (الضبي، د.ت، ص.9) في مضارب القبيلة وأسواق العرب.

ولعل أهم كتب الاختيارات الشعرية، وأولها تصنيفا ما جمعه حمّاد الراوية(ت155هـ) من قصائد أطلق عليه اسم " السّموط " تارة، أو"المعلقات" تارة أخرى(الطرابلسي، 1956، 91/1)، وهو الاسم الذي اشتهرت به، وربما أطلق عليها اسم "المذهبات" في أقل الأحايين.

وقد حثّ حمّادا النّاس على قراءتها فتذوقوها، وعرفوا قيمتها، وشاعت بينهم، كما نالت حظا واسعا من الشرح والحفظ، واتخذ منها الشعراء مثلا يحتذونه (بروكلمان، 1983، 67/1).

والمعلقات قصائد مطولة لعدد من كبار شعراء الجاهلية الفحول، وقد اختلف الرواة في عددها، فقيل هي خمسة، وقد اتفقت عليها الروايات جميعا، وهي معلقات: "امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمى ولبيد وطرفة وعمرو بن كلثوم "، وأضاف إليها حمّاد الراوية معلقتين: الأولى لعنترة بن شداد، والثانية للحارث بن حلزة، فأصبحت سبعة، وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت209هـ) فأضاف إليها قصيدتي النابغة والأعشى على أنهما من متممات الخمس إلى سبع، وجاء الخطيب التبريزي (ت502هـ) تلميذ أبي العلاء المعري، فضمّ الروايتين إلى بعضهما، وأضاف إليها قصيدة عبيد بن الأبرص، فأصبحت المعلقات عشرا، وسمّاها" القصائد العشر الطوال"(قيظاز، 2006، ص.254).

والمعلقات شعر بلغ غاية الجودة والإتقان لغويا وفنيا وموسيقيا، وهو ما جعلها تحضى بقسط وافر من الشروح والتعليقات والتراجم، ومن أشهر هذه الشروح وأكثرها تداولا في عصرنا الحديث، شرح الحسين بن أحمد الزوزني(ت486هـ)، وشرح الشنقيطي(ت1331هـ) الموسومين بـ "شرح المعلقات العشر".

وثاني هذه المجموعات الشعرية، اختيار الراوية الكوفي الثقة المفضل الضبي(ت178هـ)، والذي سماه" كتاب الاختيارات"، ولكنه سمّي بعد ذلك بـ"المفضليات" نسبة إلى جامعه. وتضم المفضليات مائة وثلاثين قصيدة، منها مائة وستة وعشرون قصيدة بشرح أبو محمد الأنباري الكبير، يضاف إليها أربع قصائد ألحقت بها وجدت في بعض النسخ(الضبي، د.ت، ص.10).

ويتكون هذا المجموع الشعري من مقطوعات شعرية، وأحيانا من قصائد كاملة لسبعة وستين شاعرا، وأكثر هؤلاء الشعراء –سبعة وأربعون منهم– من شعراء الجاهلية، ومن شعرائها كذلك أربعة عشر شاعرا من المخضرمين، ثم ستة فقط من الإسلاميين(بروكلمان،2000، 73/1).

وتكاد قصائد المفضليات تغطي كل جوانب الحياة في العصر الجاهلي، خاصّة ما تعلق بعلاقات القبائل بعضها مع بعض، ومع ملوك الحيرة والغساسنة، أضف إلى ذلك أنّ فيها ألفاظا لم ترد في المعاجم اللغويّة، وأكثر شواهد العربية في النحو والصرف والبلاغة والغريب مستمدّ مما بها من شعر (مكي، 1999، ص.107).

كما أنها جسّدت كثيرا من جوانب الحياة العربية، السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وحتى الثقافية والعقائدية، وذلك عبر مختلف العصور التي رصدتها بشعرائها، وبمختلف قبائلهم التي تخرجوا ونبغوا فيها، وبقصائدهم التي تتكلم بلسان حالهم في مختلف الظروف والأوضاع والمواقف.

أمّا عن شروحها فالمعروف منها خمسة، أبرزها شرح أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (ت305هـ)، وشرح أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي(ت421هـ)، وشرح أبو زكريا يحي بن علي بن الخطيب التبريزي(ت502هـ).

وقد نالت اهتمام الرواة وأهل العلم، كما حظيت بشروح ودراسات كثيرة، وما تزال إلى يوم النّاس هذا.

وتأتي الأصمعيات في المرتبة الثالثة، وهي اختيار الراوية البصري الثقة، عبد الملك بن قريب الأصمعي(ت216هـ)، وتظمّ اثنتين وتسعين قصيدة ومقطوعة، لواحد وسبعين شاعرا منهم أربعة وأربعون شاعرا جاهليا، وأربعة عشر شاعرا مخضرما، وستة إسلاميين، وسبعة مجهولين لا تعرف أسماءهم في مصادر أخرى (مكي، 1999، ص.108)، وتغلب فيها القصائد على المقطوعات.

وقد تجلى في الأصمعيات مزاج مؤلفها نحويا ولغويا؛ إذ يغلب عنده هذا الجانب على الجانب الأدبي، ومن هنا أمكننا القول إنّها تعكس عقلية عالم لغوي يدرس الشعر الجاهلي، وقد جارى المفضل

في إيثاره لقصائد المقلين من الشعراء، كما جاءت مختاراته مجردة من الأخبار والشروح والتعليقات إلا في القليل النادر(مكي، 1999، ص.108-109).

وجاء اختيار الأصمعي خاضعًا لذوقه وخبرته ومراسه، ولذوق بيئته وعصره عموما، خاصّة وأنّه من رواة وعلماء اللغة المشهورين في عصره. ولكنّ اختياره لم يحض برواج وشرح وافيين كما هو شأن المفضليات، وذلك يعود إلى أسباب كثيرة كان أبرزها قلة شهرة من ورد فيها من شعراء.

ورغم ذلك فقد عدّت الأصمعيات، خير تأليف شعري بعد المفضليات (الزياني، 2010، ص.77)، خاصّة وأنّها قد صوّرت حياة العرب في الجاهلية من أغلب جوانبها، من جهة، كما أنها استدركت بعض القصائد أو المقطعات التي لم ترد في المفضليات، من جهة أخرى، ولا أدل على ذلك من قول الأصمعي في مقدمة كتابه: "وهذه بقية الأصمعيات التي أخلت بها المفضليات" (الأصمعي، د.ت، ص17).

ورابع هذه الاختيارات الشعرية: " جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام " لأبي زيد القرشي، ويندرج هذا المصنف ضمن كتب الطبقات، أو ما يصطلح عليه حديثا بـ: " الأنثولوجيا الشعرية " Anthologique Poétique، ذلك أنّ المؤلف انتقى تسعا وأربعين قصيدة تمثل عيون الشعر العربي القديم، ثم أخضع القصائد المنتقاة لتصنيف طبقي، فحدد سبع طبقات لها تسميات محددة(الزياني، 2010، ص.96).

وأوّل هذه الطبقات: المعلقات السبع، وتليها المجمهرات، ثم المنتقيات، فالمذهبات، والمراثي، والمشوبات، وآخرها الملاحم، وكل قسم يشتمل على سبعة قصائد ليكون المجموع تسعا وأربعين قصيدة من عيون الشعر الجاهلي والإسلامي الذي لا يجاوز العصر الأموي(القرشي، د.ت، ص.3).

ويحتوي الكتاب على مقدمة نقدية قيمة، وقصائد نادرة من روائع الشعر العربي القديم، انفرد بروايتها دون غيره.

وكان القرشي يحتكم إلى معايير نقدية معينة تعبر عن ثقافته الأدبية، ودرجة نضج تفكيره النقدي، وهو ما يضعنا أمام " بيان أدبي ونقدي يفصح عن تصور معيّن للشعر"(الزياني، 2010. ص69).

وإنصافا للحقيقة، يمكننا القول أيضا، إنّ القرشي يحاول أن يقدم مشروعا متميزا ومختلفا عن المفضليات، والأصمعيات، حينما اختار مقدمة طويلة لكتابه، وطور مفهوم الطبقة الشعرية، فكرة وبناءً، ليدفع غيره من المهتمين بالبحث الشعري والنقدي في هذا المجال، للوصول بهذا المشروع، نظريا وتطبيقيا، إلى مستوى التحليل والتأصيل، بدل الاكتفاء بمستوى التفاضل الذي تموضع فيه مشروعه هذا فكرة وبناء وأهدافا(الزياني،2010، ص.101).

ومع انتشار نزعة التجديد في الشعر، وارتقاء الحضارة العربية في النصف الثاني من العصر العباسي الأول،تغيرت أذوق الأدباء والنقاد كما تغيرت أذواق المتلقين،ليظهر لون جديد من المختارات الشعرية قائم على الموضوعات أو المعاني الشعرية، وكان أقدمها: "حماسة أبي تمام (ت231هـ)".

واختيار أبي تمام، تلقط فيه أشياء من أشعار المقلين، والشعراء المغمورين غير المشهورين، بوبه أبوابا، وصدره بما قيل في الشجاعة، وهو أشهر اختياراته، وأكثرها في أيدي الناس(الآمدي، د.ت، ص58).

وقد اختار أبو تمام نماذجه بدقة متناهية، معملا فيها ذوقه، وقد غلب على شعرائه الشعراء المغمورون من الجاهليين والإسلاميين.

أما رواية صناعتها، فقد روي أن الشتاء قد غلب على أبي تمام في "همذان"، وهو عائد إلى العراق، فاستضافه " أبو الوفاء بن سلمة "، وحال الثلج بينه و بين موطنه، فصنّف خمسة كتب في الشعر منها: الحماسة(التبريزي،2007، 4/1).

وقد قسم أبو تمام حماسته إلى عشرة أبواب بحسب موضوعاتها، وهي: باب الحماسة. ومنه أخذ الكتاب تسميته. ويليه باب المراثي، ثم باب الأدب، باب النسيب، باب الهجاء، باب المديح والأضياف، باب الصفات، السير والنعاس، باب مذمة النساء(أبو تمام، 2007، ص.5-6)، وإنْ كان الأعلم الشنتمري في شرحه قد جعلها ثلاثة عشر بابا؛ إذ أضاف إليها باب القصر، وباب الكبر، كما جعل من باب المديح والأضياف بابين(الشنتمري، 1992، ص.97).

وكان أبو تمام يختار ما يروقه من الشعر دونما اعتبار لشهرة صاحبه؛ وهو ما يفسر كثرة شعرائه المجهولين من جهة، وكثرة مقطوعاته وغلبتها على القصائد، من جهة أخرى، بل إنّه كان يختار ما يناسب موضوعه حتى وإنْ تعلق الأمر بالبيت أو البيتين. وقد جاء تصنيفه مميزا، إذ دلت مختاراته على أنّه " يستطيع أنْ يتجاوز طريقته الشعرية وما فيها من طلب للصور ومن إغرابٍ في توليد المعاني واستغلال للذكاء الواعي إلى شعر مشمول بالبساطة، وشيء غير قليل من العفوية والصدق العاطفي المباشر... دون مثال يحتذيه سوى الاعتماد على الذوق الذاتي "(عباس، 2011، ص.60).

كما استطاع من خلال حماسته " أنْ يخلق من ذاته ((أنا)) تخيّليّة عوّض بها الباثّ الأصلي للرسالة، ثم جعل لهذه الرسالة سيّاقا جديدًا ليس هو سياقها التخيلي الأول ... ومعنى هذا أنّ رد الفعل بإزاء عمله سيكون كما نتوقع مضاعفا ومتناميا "(بلمليح، 1995، ص408).

أضف إلى ذلك أنه أسهم من خلال أبواب حماسته في " ترسيخ أسس الأغراض النظرية وبلورة حدودها "(بلمليح، 1995، ص.410) .

فلقيت حماسته رواجا كبيرا، إذ تلقفها الأدباء والعلماء والنقاد، وطارت قصائدها ومقطعاتها على ألسنة الرواة، كما انبرى لها العلماء واللغويون لشرحها، فكثرت شروحها، وكان أشهرها وأكثرها رواجا شرح الخطيب التبريزي (ت202هـ)، وشرح الأعلم الشنمتري (ت476هـ).

ولأبي تمام مختارات شعرية أخرى سماها " الوحشيات " سار فيها على نهج الحماسة، حتى دعيت بالحماسة الصغرى، في حين كانت تسميتها بالوحشيات تشبيها لها بأوابد الوحش؛ لأن ما جاء فيها من مقاطع شعرية أوابد وشوارد لا تعرف عامة، وأغلبها للمقلين من الشعراء، أو المغمورين منهم(أبو تمام، د.ت، ص.6).

وجاءت الحماسة الصغرى في عشرة أبواب هي: باب الحماسة، المراثي، الأدب، النسيب، الهجاء، السماحة والأضياف، الصفات، المشيب، المُلح، ومذمة النساء.

إلا أنّ الحماسة الصغرى لم تلق الرواج الذي كان للحماسة، خاصّة وأنّ الحماسة قد أصبحت بعد رواجها وانتشارها في الآفاق قدوة ومثالا يحتذى؛ إذ سار على نهجها من جاء بعد أبي تمام حتى كثر مقلدوه دون أنْ يبلغوا مبلغه.

فهذا أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري(ت284هـ) يحذو حذو أستاذه وملهمه، فيصنف حماسته التي اختارها للفتح بن خاقان، لكنه خرج بها من دائرة التقليد إلى الإبداع، حيث يلتقيه في الفكرة، ويخالفه في المنهج، بل وفي كل شيء بعد ذلك(البحتري، 2007، ص.5).

ثم صنف هبة الله بن الشجري(ت542هـ) حماسته المعروفة باسم "الحماسة الشجرية"، نسبة إليه، فعمد إلى توسيع مصنفه ليشمل جزء منه الأغراض –كما كان الشأن في حماسة أبي تمام– ويدرج المعاني في جزئه الثاني كما فعل البحتري، وليضم بين دفتيه قصائد ومقطوعات لثلاثمائة وخمسة وستين شاعرا، عدا من لم يذكر اسمه فيها(ابن الشجري، 1970، 1/ي د،ي هـ).

وجاءت بعد ذلك الحماسة المغربية لأحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي (ت609هـ)، والحماسة البصرية لعلي بن الفرج البصري (ت659هـ)، وغيرها، وتجدر الإشارة إلى أنّنا لم نأت على ذكر كل ما صنّف من حماسات، ولا يتّسع المجال لذلك، وإنما أردنا الإشارة إلى بعضها، لإبراز أهمية حماسة أبي تمام، وكيف تلقفها المصنفون من كل الأقطار، ونسجوا مختاراتهم على منوالها.

وقد ظهر موازاة مع هذا الشغف بالحماسة وتقليدها، مجموع شعري ضخم هو "منتهى الطلب من أشعار العرب" لمحمد بن المبارك بن ميمون البغدادي(ت589هـ)، والذي يمكن عدّه أهم وأبرز مجموع شعري وصل إلينا على الإطلاق لما تميز به من الشمولية والتوسع؛ إذ إنّ ابن ميمون قد أدخل فيه قصائد المفضليات، والأصمعيات، ونقائض جرير والفرزدق، والقصائد التي أوردها ابن دريد في كتابه الشوارد –وهو كتاب ضائع لم يصلنا إلى الآن–، وشعر هذيل، وقصائد كتاب طبقات فحول الشعراء لابن

سلام الجمحي، وفي ذلك يقول ابن ميمون :"هذا كتاب جمعت فيه ألف قصيدة، اخترتها من أشعار العرب الذين يستشهد بأشعارهم، وسميته: منتهى الطلب من أشعار العرب وجعلته عشرة أجزاء، ...وأدخلت فيها قصائد المفضليات، وقصائد الأصمعي التي اختارها، ونقائض جرير والفرزدق، والقصائد التي ذكرها أبو بكر بن دريد في كتاب له سماه: الشوارد، وخير قصائد هذيل، والذين ذكرهم ابن سلام الجمحي في كتاب الطبقات"(ابن ميمون البغدادي، 1999، 70/1).

وقد حقق هذا الكتاب الدكتور محمد نبيل طريفي، ليصدر في أولى طبعاته عن دار صادر ببيروت سنة 1999م، في تسعة أجزاء، كان مجموع ما حوته 1051 قصيدة، و29 مقطوعة لـ: 264 شاعرا من الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم، من جاهليين، ومخضرمين، وإسلاميين، ليبلغ مجموع أبياته ما يقارب 40000 بيت .

2.3. أسباب تصنيف الاختيارات الشعرية و خلفياته:

يرجع سبب اختيار حمّاد الراوية للمعلقات إلى قيمتها العالية في نظره، إذ إنّه انتخب أجود ما جادت به قرائح الشعراء الجاهليين الفحول. وذهب بروكلمان إلى أنّ إطلاق حماد لتسمية "السّموط"، أو"المعلقات"، قد كان للدلالة على " نفاسة ما اختاره، والافتخار بخالص اختياره"(بروكلمان،1981 ، 67/1)، في حين ذهب البعض إلى أنها سميت بالمعلقات أو المذهبات، لأنّها اختيرت من سائر الشعر فكتبت بماء الذهب وعلقت على الكعبة لعلوّ قيمتها (القيرواني، 1،2006/83).

أما عن الهدف من تأليف المفضليات والأصمعيات، وانتخابهما، فقد كان تأديبيا تعليميا، وإنْ كان في الوقت ذاته يبرز ذوق صاحبه؛ إذ كان المفضل والأصمعي معلمين، وكان عليهما أن يختارا من عيون الشعر العربي لتأديب تلاميذهما؛ إذ كان المفضل مؤدبا ومعلما للمهدي ابن الخليفة المنصور، وجاء في ذيل الأمالي والنوادر للقالي أنّ الخليفة المنصور(ت158هـ)، طلب من المفضل الضبي أن يعمد إلى أشعار المقلين، و يختار منها لابنه المهدي، لكل شاعر من هؤلاء المقلين أجود ما قال، ففعل(القالي، 1976، ص.147).

وكذلك الشأن بالنسبة للأصمعيات التي تعتبر إلى حد ما تكملة للمفضليات، إذ قيل إنّ الأصمعي اختارها لهارون الرشيد(مكي،1999، ص.109).

فمعيار الجودة إذن هو أبرز أسباب الاختيار الشعري وخلفياته، وجودة النص الشعري تكمن " في تلاحمه وتماسك أجزائه وتفوقه على النصوص الأخرى "(كرباع، 2012، ص.17)، كما أنّ من معايير الجودة " شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف..."(المرزوقي، 1991، 91/1).

والجودة أيضا قد تحدد بزمن معين، فالقرشي مثلا، اقتصر على شعراء الجاهلية والإسلام دون أن يتجاوزهم إلى المحدثين الذين يختلسون من محاسن ألفاظ غيرهم (القرشي، د.ت ، ص.11)، وهذا يعتمد على معيار الزمن والفصاحة كما يراها الأصمعي.

كما أنّ هناك من راعى الشهرة فيمن اختارهم مثلما فعل المفضل الضبي(المجالي ، 1992، ص.89)، إذ إنّ جودة النصّ الشّعري في نظره تكمن في شهرة صاحبه،و تفوقه على شعراء عصره.

غير أنّ التطور الذي شهده المجتمع في العصر العباسي، وما رافقه من ازدهار اقتصادي، وتنوع ثقافي، وتكاثر في عدد المعلمين والمتعلمين، وشيوع القراءة والكتابة، وكذا ظهور طبقة واسعة من الأمراء والقادة والوجهاء والأثرياء تقرب الشعراء والأدباء، وتجزل لهم العطاء، سرعان ما جعل طلب المتعة والتسلية، إضافة إلى طلب العلم، غاية من غايات تصنيف كتب الاختيارات، فظهر لون آخر منها يقوم على أساس تبويب الموضوعات عرف بالحماسات، وأقدمها حماسة أبي تمام.

والملاحظ أنّ أصحاب الاختيارات القائمة على الموضوعات أو الأغراض، لم يعيروا اهتماما لشعرائهم قياسا لاهتمامهم بالغرض الشعري؛ إذ إنّهم كثيرا ما يدرجون في مصنفاتهم شعراء مجهولين لا لشيء إلا لجودة شعرهم، ومناسبته لموضوعهم.

أمّا عن فكرة الغرض الشعري، فيرى جهاد المجالي، أنّ ابن سلام الجمحي هو أول من لجأ إليها في طبقاته حينما شعر بأن نظامه الطبقي الصارم بدأ يخونه، ويعجز عن استيعاب الشعراء وإنصافهم، فاضطر إلى تخصيص طبقة لشعراء المراثي الذين أبدعوا في هذا الفن (المجالي، 1992، ص.91).

ولا شك أنّ الاهتمام بالأغراض الشعرية ليس وليد الصدفة، وإنما كان وليد دراية، وتأمل كبير، كما أنها تعد دليلا على الذائقة النقدية لصاحبها في ذلك العصر، أما الهدف منها فهو "الإتيان بطريقة جديدة تجعل من القارىء يعيش في جو واحد"(كرباع،2012، ص.27).

كما أنّ القرشي جعل من أهداف اختياره " الكشف عمّا وافق القرآن من ألفـــاظ العرب، والعلاقة القائمة بين لغة النص القرآني ولغة النص الشعري" (الزياني، 2010، ص.79)، إلا أنّه أخفى هدفا جوهريا هاما تمثل في الوقوف مع أنصار القديم، أو " الفكر الاسترجاعي الذي يتسم بطوابع الفكر القبلي والديني في آن واحد"(أبو ديب، د.ت، ص674). على قول كمال أبو ديب. والذي يؤمن بوثوقية الشعر العربي القديم وقدسيته، وذلك في خضم الصراع الشعري بين القديم والجديد، والذي كان جزءا هاما من المناخ الفكري السائد في ذلك العصر.

وإنْ كان انتخاب أجود الشعر وجمعه قصد إيصاله إلى الأجيال اللاحقة هدفا آخر من الأهداف حفاظا على عيون الشعر العربي من الضياع والإهمال، خاصّة وأّننا نعلم شدّة حرص العرب –الرواة خاصة– على تراثهم ولغتهم، وثروتهم الفنية التي وصلت إليهم، ذلك أنّ كل بيت يروونه، وكلّ قصيدة

يتلقفونها " إنّما هي دعامة من دعائم هذه اللغة، التي يدعوهم الدّين والقومية أنْ لا يفرطوا منها في شيء، وأنْ يسعوا إلى حفظها ما أمكنتهم الفرصة، وطاوعتهم الحال" (الضبي، د.ت، ص.9).

أضف إلى ذلك سعي أصحاب الاختيارات إلى تحسين ذوق المتلقي بانتخاب الشعر، الذي يمثل في نظرهم النموذج الأمثل والأعلى للأدب العربي، وقد كان اختيارهم خاضعا لذوقهم، وعلى هذا الأساس أمكننا القول إنّ كتب الاختيارات الشعرية لا تقوم على أسُسٍ نقدية صريحة وواضحة، وإنما " تعتمد على ذوق صاحبها، وذوقه يرتد إلى " مسبقات " ضمنية توجهه في أخذ ما يثبته وترك ما ينفيه"(عباس، 2011، ص.59)، وهو ما يفسّر كثرة عدد كتب الاختيارات الشعرية، وتنوعها في المضمون والمنهج، لتنوع مصنفيها، واختلاف أذواقهم.

3.3. القيمة النقدية للاختيارات الشعرية:

تعد كتب الاختيارت الشعرية من أهم أنماط التلقي للنص الشعري القديم؛ وذلك لأنّ الاختيار قائم على اصطفاء وانتخاب الأجود والأنفس في نظر متلقيه، وهو ما يؤهل هذه المصنفات لاحتلال مكانة بارزة في نقدنا العربي، خاصة وأنّها تعدّ " اللبنة الأولى لبناء صرح النقد الأدبي المنبثق من روح العصر"(كرباع، 2012، ص.127).

وعليه فإنّ لها قيمة نقدية كبيرة تبرز من خلال ما نقلته إلينا من شعر متنوع ونادر، وما حفظته من شعراء مغمورين ومجهولين، فتحت الباب أمام دراسة شعرهم، وإعادة النظر في شعر المشهورين منهم، من حيث التحقيق والدراسة والتمحيص، كما غطّ هذا الشعر الذي احتوته معظم جوانب حياة العربي المختلفة، وهو ما ينقل لنا صورة حيّة عن الواقع العربي عبر مختلف العصور والأزمنة، باعتبار الشعر لسان حال العربي في مختلف الظروف والمواقف، إذ كثيرا ما كشف لنا " علاقات ذلك المجتمع بعضه ببعض، وما بينه من وشائج ودّ وأواصر قربى أو شتات وفرقة وشحناء وشنآن " (الجهني، 1425هـ، 36/1). أضف إلى ذلك ما احتوته هذه المصنفات من لغة أو من ألفاظ نادرة، ولهجات مختلفة باختلاف الشعراء، واختلاف بيئاتهم وأمصارهم،حتى أنّنا نجد فيها ألفاظا نادرة لم ترد حتى في المعاجم اللغوية المتخصصة.

كما تكمن قيمة الاختيارات الشعرية أيضا، فيما عكسته من عقليات مختلفة باختلاف مصنفيها، إذ إنّ منهم اللغوي والراوي، ومنهم الأديب والناقد، ومنهم البلاغي والشاعر، ...وهو ما يبرز لنا قيمة أصحابها، ومكانتهم النقدية المتميزة، والتي تبوؤوها خاصة بفضل قدرتهم الفائقة على تخيّر الشعر وانتخاب أجوده من كم شعري ضخم حفل به تراثنا العربي.

أضف إلى ذلك ما حملته هذه المصنفات النفيسة من معايير نقدية بارزة تعكس ثقافة أصحابها، ودرجة نضج تفكيرهم النقدي، وسعيهم المتواصل والدؤوب للارتقاء بذوق المتلقي نحو الأفضل دائما.

خاتمة:

وخلاصة القول إنّ معايير الجودة وأسباب الاختيار وخلفياته تختلف من مصنف إلى آخر، كما تختلف النصوص الشعرية ذاتها في جودتها وتماسكها، وثقافة صاحبها، وهو الأمر الذي سمح بأنْ تصل إلينا مختارات شعرية كثيرة ومتنوعة، ساهمت إلى حد كبير في الحفاظ على الشعر العربي القديم من الاندثار والزوال، من جهة، ودلت من جهة أخرى، على توثيق الشعر وصحته، ولا شك أنّ العثور على بعض هذه المصنفات الضائعة كفيل بمساعدتنا في إعادة النظر في الكثير من دواوين الشعراء التي شابها النقص والتصحيف.

ولا ريب أنّ كتاب " منتهى الطلب من أشعار العرب " لابن ميمون البغدادي، أبرز هذه المختارات التي ستساعد لا محالة في إعادة النظر في دواوين بعض الشعراء، والتحقق من صحة أشعارهم، خاصة وأنّه لم يحض بحقه من الدراسة بعد.

قائمة المراجع:

ـ الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر. (د.ت). الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. ط4. تحقيق، السيد أحمد صقر. دار المعارف. مصر.

ـ الأسد، ناصر الدين.(1978). مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية. ط5.مصر.دار المعارف.

ـ الأعلم الشنتمري، يوسف بن سليمان بن عيسى. (1992). شرح حماسة أبي تمام (تجلي غرر المعاني عن مثل صور الغواني والتحلي بالقلائد من جواهر الفوائد في شرح الحماسة). ط1. تحقيق وتعليق : علي المفضل حمّودان. بيروت. لبنان. دار الفكر المعاصر.

ـ الأصمعي، عبد الملك بن قريب. (د.ت). الأصمعيات. ط3. تحقيق، أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون. مصر. دار المعارف.

ـ إسماعيل، عز الدين. (د.ت). المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي. د.ط. القاهرة. مصر مكتبة غريب.

ـ البحتري، أبو عبادة الوليد بن عبيد. (2007). الحماسة. ط1. تحقيق، محمد إبراهيم حور، وأحمد محمد عبيد. الإمارات العربية المتحدة. هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث. المجمع الثقافي.

ـ بلمليح، إدريس. (1995). "المختارات الشعرية وأجهزة تلقيها عند العرب من خلال المفضليات وحماسة أبي تمام"، رسالة دكتوراه. ط1. جامعة محمد الخامس بالرباط. المغرب . منشورات كلية الآداب.

ـ بروكلمان، كارل.(1983). تاريخ الأدب العربي. د.ط. مصر. دار المعارف.

ـ الجهني، زيد بن محمد بن غانم(1425). الصورة الفنية في المفضليات (أنماطها وموضوعاتها ، ومصادرها وسماتها الفنية). رسالة دكتوراه. ط1. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. عمادة البحث

العلمي. المملكة العربية السعودية.
ـ أبو ديب، كمال. (د.ت). الرؤى النقدية، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي. د.ط. مصر الهيئة المصرية العامة للكتاب. دار الكتب.
ـ وهبه، مجدي، والمهندس، كامل. (1984). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب. ط2. بيروت. مكتبة لبنان.
ـ الزياني، الخليل. (2010، يوليو، سبتمبر)." الوعي الشعري والنقدي عند أبي زيد القرشي". مجلة عالم الفكر. الكويت: 39(1): 69-110.
ـ الطرابلسي، أمجد.(1956). نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافيا. ط2. دمشق. سوريا. مطبعة الجامعة السورية.
ـ كرباع، علي. (2012). " المختارات الشعرية وقيمتها النقدية، جمهرة أشعار العرب أنموذجا"، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة باتنة، الجزائر.
ـ المجالي، جهاد. (1992). طبقات الشعراء في النقد الأدبي عند العرب. ط1. بيروت. لبنان. دار الجيل.
ـ ابن ميمون البغدادي، محمد بن المبارك. (1999). منتهى الطلب من أشعار العرب. ط1. تحقيق وشرح، محمد نبيل طريفي. بيروت. لبنان. دار صادر.
ـ مكي، الطاهر أحمد. (1999). دراسة في مصادر الأدب. ط8. القاهرة. مصر. دار الفكر العربي.
ـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. (د.ت). لسان العرب. د.ط. بيروت. لبنان. دار صادر.
ـ مصطفى، إبراهيم، وآخرون. (2004). المعجم الوسيط. ط4. مجمع اللغة العربية. الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. مصر. مكتبة الشروق الدولية.
ـ المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن. (1991). شرح ديوان الحماسة. ط1. نشر، أحمد أمين، وعبد السلام هارون. بيروت. لبنان. دار الجيل.
ـ عباس، إحسان. (2011). تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري). ط1. عمان. الأردن/رام الله. فلسطين. دار الشروق.
ـ علوش، سعيد. (2004). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. ط1. الدار البيضاء. المغرب. دار الكتاب اللبناني. سوشبريس.
ـ الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. (2010). القاموس المحيط . د.ط. ضبط وتوثيق، يوسف الشيخ محمد البقاعي. بيروت. لبنان. دار الفكر.

ـ القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم. (1976). ذيل الأمالي والنوادر. د.ط. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ـ القيرواني، ابن رشيق. (2006). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. ط1. تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد. مصر. دار الطلائع.

ـ قيظاز، محمد عدنان. (2006)." المختارات الشعرية قديما وحديثا" مجلة التراث العربي. دمشق. سوريا : 102: 254-267.

ـ القرشي، أبو زيد. (د.ت). جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام. د.ط. تحقيق وضبط وشرح، علي محمد البجاوي. مصر. دار نهضة مصر.

ـ ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني. (1970). الحماسة الشجرية. د.ط. تحقيق، عبد المعين الملوحي، وأسماء الحمصي. دمشق. سوريا. منشورات وزارة الثقافة.

ـ أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. (2007). ديوان الحماسة. ط1. شرح وتعليق، يحي شامي. بيروت. لبنان. دار الفكر العربي.

ـ أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي (د.ت). كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى). ط3. تحقيق وتعليق، عبد العزيز الميمني الراجكوتي. مصر. دار المعارف.

ـ الخطيب التبريزي، يحي بن علي. (د.ت). شرح ديوان الحماسة. د.ط. بيروت. لبنان. عالم الكتب.

ـ الضبي، المفضل. (د.ت). المفضليات. ط6. تحقيق وشرح، أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون. مصر. دار المعارف.